الأصل فى اللغة

دراسة أنطولوجية فى قصيدة تراكل

" أمسية شتوية "

دكتورة

صفاء عبد السلام على جعفر

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

قسم الفلسفة

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: ٥٢٥٤٤٣٨ -إسكندرية

المقدمة

... نحن أبناء هذا العصر قد نشعر بصعوبة في أن تكون لدينا تجربة أصلية مع اللغة "حتى إذا كانت هذه التجربة تفاجئنا، وتلفت انتباهنا إلى حقيقة علاقتنا باللغة؛ ذلك أن الغوص في تجربة مع اللغة - وهو هدف هايدجر من محاضرة "اللغة" موضوع هذا البحث - يختلف عن مجرد إحصاء معارف ومعلومات عنها، وهو الأمر الذي تضطلع به العلوم المتنوعة التي تتناول اللغة ومنها علم اللغة، وعلم فقه اللغة، وعلم النفس، وفلسفة اللغة، وما بعد اللغة.

وعلى الرغم من أهمية هذه العلوم، فإن محاولة الوصول إلى "تجربة مع اللغة" أمر جد عسير، وعلينا أن نتساءل مع هايدجر عن الطريق الذي يمهد لنا الوصول إلى تلك التجربة[1]، من خلال البحث في "الأصل في اللغة" أو ماهيتها الأساسية من وجهة نظر أنطولوجية.

إن إنسان هذ العصر يحيا حياة "الإطار" Gestell أو الشكل" دون المحتوى" التي تخلو حقاً من معنى السكن والإلف، والكشف عن هذا المعنى هو أحد أهداف هذا البحث[2].

---

(1) Kockelmans, J.J. : "On The Truth of Being-Reflectins On Heidegger's Later Philosophy", Indiana Uni- Press, Bloomington, U.S.A., 1984, P.159-160.

(2) Heidegger, M. : "Poetry - Language- Thought, trans, by A. Hofstadter, Harper & Row Publishers, New York, U.S.A., 1975, P. XIII.

أكد هايدجر دوماً أن تاريخ الميتافيزيقا التقليدية هو تاريخ نسيان الوجود، وهايدجر يحاول أن يذكرنا بغياب الوجود عنا ، وبأننا نحيا فى زمن لم يعد يفكر تفكيراً حقيقياً فى هذا الغياب ، وهو يهدف من ذلك إلى "التحول" نحو الوجود، وهو ما لايمكن التنبؤ بموعد حدوثه[1] .

إن محاضرة "اللغة" عند هايدجر هى دراسة فى أصل اللغة لا فى استخدامها ووظائفها ؛ إنها دراسة فى ماهيتها التى يكون بها الموجود . وليست مجرد وسيلة أو أداة ؛ فهى اللغة التى تمنح ، وتعطى ، وتحرر، وتنير، وهى فى ذلك ليست قوة متعالية كما جاء فى الفهم الميتافيزيقى التقليدى[2] .

ويعنى ذلك أن "التفكير فى الوجود" عند هايدجر لايوجد إلا حيث توجد لغة الوجود التى ينصت إليها الإنسان[3] . إن ماهية اللغة هى القول[4]، والقول فى اشتقاقه الأصلى من اللغات الهندو-أوروبية يعنى "الإشارة " و "الدلالة" ، و "الإظهار"، والإظهار مرتبط بإنارة الوجود التى تحرر ، وتعطى، وتمنح، وتخفى، وهى تظهر "العالم" فى العمل الفنى مثلاً الذى يظهر حقيقة الوجود أو يحجبها .

---

(١) نداء الحقيقة - ترجمة ودراسة وتقديم عبد الغفار مكاوى . سلسلة النصوص الفلسفية (٩) دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص : ٢١٠ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٢١٨ .

(3) Kockelmans, J.J. ; "On The Truth ..", P.158.

(*) حاول هايدجر أن يرجع بالقول Sagen إلى كلمة Sage و Saga ، وهى الحكاية الخرافية المأثورة - دون أساس تاريخى- عن خوارق الأبطال فى آداب الشعوب الشمالية .

(قارن : عبد الغفار مكاوى : نداء الحقيقة ، ص : ٢١٥) .

إن اللغة هي القرب الكامن في قوى العالم الأربع : الأرض - السماء - الفانون - الخالدون ، وهي "التجميع الأصلي" في تفسير هايدجر لكلمة "اللوجوس" عند هيرقليطس ، وهي لذلك ساكنة وبلا صوت ، لأنها هي التي تنعم على الإنسان بفعل "يوجد" بحيث تكون لغة "الساكنة" هي لغة الماهية كما سيأتي بيانه. واللغة " تعبر" ، وهي بذلك" تدل " ، و"تشير" ، وتصل إلى كل جهات الوجود ؛ فتظهر الموجودات أو تحجبها ، والإظهار "حدث يدركه الإنسان "بالإنصات إلى حديث اللغة" ، وحديث اللغة هو "الحدث" الذي يمنح الإنارة والانفتاح للموجود ، ويعطيه كلمة "يوجد" ويرد الموجود إلى أصله .

أما عن "النطق" فهو في حقيقته تطابق مع قول اللغة وحديثها ؛ "فاللغة تستخدم الإنسان لكي ينطق عما تقوله اللغة الساكنة" على حد تعبير هايدجر[1].

* * *

أولى "هايدجر" الشعر - بوصفه ماهية اللغة الحقيقة- عناية خاصة ، واستشهد في ذلك بعبارة فريدريش هيلدرلين Hölderlin (١٧٧٠- ١٨٤٣م) الشاعر الألماني الحديث : إن أحب الأحباب - أي الشاعر والمفكر- يسكنون على جبلين منفصلين ، وإن كانا متجاورين"[2].

---

(١) عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" ، ص : ٢١٨-٢١٩ .

(٢) عبد الغفار مكاوى : "شعر وفكر - دراسات في الأدب والفلسفة" ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥ ، ص : ٦٢ .

وجدير بالذكر أن الشعر عند "هيلدرلين" -الذى حظى باهتمام كبير لدى هايدجر- هو أكثر المشاغل براءة وخطراً ، لأنه شكل من أشكال اللعب أو خلق الصور والأخيلة بحرية من "مادة" اللغة ، واللغة "أخطر" ما أعطى للإنسان لأنها تجمع البشر فى "أساس" وجودهم وتشعرهم بالسكينة ، وتنأى بهم عن ضجيج وثرثرة الحياة اليومية الزائفة .

إن الوجود الإنسانى فى صميمه "وجود شعرى" dichterisch - Poetical ، لأن الإنسان كما يقول هيلدرلين يسكن على الأرض سكناً شعرياً[1] .

أما عن غاية الفلسفة والشعر الأخيرة فهى العودة إلى "الأصل" أو "للوجود الذى يظهر كل موجود" لكى يتحد بالكل ، فيسود التجانس[2] والسكينة .

واللغة بوجه عام ، ولغة الشعر بصفة خاصة ليست مجرد أداة للتفاهم؛ وإنما هى التى تكفل للإنسان إمكانية أن يظل منفتحاً للوجود ، وأن يصبح موجوداً تاريخياً ؛ فاللغة هى "الحدث" الذى يتحكم فى أعلى إمكانات الإنسان ، وماهيتها لاتُفهم إلا بالرجوع إلى ماهية الشعر نفسه ، لأنه اللغة الأولى التى تؤسس الوجود بالكلمة[3] .

يتضح مما سبق أن الشعر عند هايدجر "تأسيس" بالكلمة وفى الكلمة ؛ فهو يدعم صلة الإنسان بالوجود بحيث يصبح "الشعراء هم الذين يكشفون عن حقيقة الوجود ، لأنهم وحدهم الذين يؤسسون ماهو باق ، والباقى هو الوجود نفسه الذى يتجلى فى نوره كل موجود ، ويتم ذلك عن طريق القول الحقيقى الذى "يسمى"

---

(١) نفس المرجع ، ص : ٥٠- ٥٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص : ٥٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص : ٥١ .

رباع العالم الفريد كما سيأتي بيانه ، وبهذه التسمية يؤسسها في الوجود ، ويضعها في نوره ، وهذا القول الجوهري هو الشعر ، والشاعر ينطق بواسطته عن حقيقة الوجود[1].

* * *

يقع هذا البحث تحت عنوان "الأصل في اللغة- دراسة أنطولوجية في قصيدة تراكل أعمية شعرية"، وجنورج تراكل (Trakl.G ١٨٨٧م- ١٩١٤م) هو شاعر نمساوي تعبيري expressionist ، تأثر في مرحلة مبكرة من تكوينه ببودلير ، والرومانتيكيين الجدد ، وريمبو، وتناول شعره موضوعات عدة مثل الليل، والغروب ، والحزن، والإثم ، والمعاناة ، والموت ، والتطلع إلى الجمال . أما عن أسلوبه فيبتعد عن الإتجاه الشخصي ، تعبيراً عن الحزن والاكتئاب العميق[2].

والتعبيرية في شعر "تراكل" تظهر في إبداعه تكوينات من الصور المجازية، وكل صورة لها مذاق انفعالي خاص ، وترتبط مع سائر الصور المجازية في القصيدة، ومع ذلك فالقصيدة عنده لاتتكون من سلسلة متسقة من المفاهيم والأفكار بقدر ماهي سيل متدفق من الصور غير المتسقة : إن شعر "تراكل" ليس نسقاً من الأفكار ، وانما مجموعة من الصور والاستعارات المجازية المتدفقة التي تمثل حلماً غير متسق الأجزاء .

---

(١) نفس المرجع ، ص : ٢٢ .

(2) Enzyklopädie : Weltliteratur im 20 Jahrhundert , herausgeg. von Prauneck M., Rowohlt, Germany, Vol.4, Juni, 1981, "Trakl. G.".

وعلى الرغم من ذلك فكل قصيدة عند "تراكل" متسقة من حيث التكوين الموسيقى ، ومن حيث كونها تركيباً من الصفات الاستيطيقية المنفصلة تماماً عن الأفكار المنطقية[1] .

ويمكن القول بأن الصورة المجازية عند "تراكل" تشبه بقعة اللون فى اللوحة التعبيرية ؛ فتلك البقعة لاتصف الشئ المراد التعبير عنه ، وإنما تشخص حالة انفعالية معينة يريد الرسام أن يطلعنا عليها .

ومن ناحية أخرى ، فإن "تراكل" يقوم فى مذهبه التعبيرى بتجريد كل ما هو غير أساسى بما فى ذلك الضمير الشخصى "أنا" من وجوده ، ويعبر عن الماهية المتبقية بالمجاز ؛ فهو يجرد شخصيته الواقعية ، أو الأنا التجريبية من عوالقها الأساسية، أو من شعورها كى تحول المضمون الذاتى إلى موضوع دون أن تخسر ما فيه من ذاتية ؛ وإنما على العكس تعمقه وتقوم بتوضيحه[2] .

تلك نبذة مختصرة عن "تراكل" ومذهبه التعبيرى فى الشعر ، ولقد وقع اختيار هايدجر على قصيدته "أمسية شتوية" لتكون محور محاضرته عن "اللغة" التى ألقاها فى عام ١٩٥٠م ، وهى المحاضرة التى يقوم عليها هذا البحث متضمناً تفسير هايدجر الأنطولوجى للقصيدة سالفة الذكر .

وأما عن هدف البحث فهو محاولة الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التالية :

س١ : كيف أحدث هايدجر ثورة كوبرنيقية فى تفسيره للأصل الأنطولوجى للغة ؟

---

(1) Sokel, W. : "The Writer in Extremes in 20 th Century German Literature , Stanford Uni. Press, California, U.S.A., 1968, P.49-50.

(2. Sokel. W. : "The Writer...", P. 50.

س٢ : ما معنى الدخول فى تجربة مع اللغة عند هايدجر ؟

س٣ : كيف تتحدث اللغة فى قصيدة تراكل من وجهة نظر هايدجر ؟.

وأما عن "منهج البحث" فلقد آثرنا المنهج التحليلى التركيبى النقدى لتحليل محاضرة "اللغة" ، وقصيدة تراكل من وجهة نظر أنطولوجية ، بهدف الوصول إلى "بناء تركيبى" يفسر لنا موقف هايدجر من اللغة فى خاتمة هذا البحث، كما استخدمنا المنهج التاريخى أحياناً لتتبع العلاقة بين اللغة والوجود فى مؤلفات هايدجر العديدة بشكل موجز تمهيداً للبحث فى أصل اللغة عنده .

وأما عن محتويات البحث ، فهى كما يلى : مدخل تمهيدى يتناول السؤال عن العلاقة بين اللغة والوجود عند هايدجر ، ثم المفهوم الفلسفى لمحاضرة اللغة فى مؤلفات هايدجر المتطورة : ويتضح هذا المفهوم من خلال الموضوعات التالية على التوالى :

أولاً : الإنسان بوصفه إنساناً موجود يتحدث .

ثانياً : اللغة تتحدث .

ثالثاً: ماهية اللغة هى لغة الماهية .

رابعاً : علاقة القرب بين الشعر والتفكير .

خامساً: التفسير الأنطولوجى لقصيدة تراكل . وفيه نتناول البنية الفنية للقصيدة ، ومعنى "التسمية" فى القصيدة من وجهة نظر هايدجر ، ثم تفسيره الأنطولوجى لرباع العالم الفريد كما جاء فى القصيدة . ثم تأتى خاتمة البحث وفيها محاولة للإجابة على الأسئلة الثلاثة التى وردت فى المقدمة ، ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع ، وثبت بأهم المصطلحات الواردة فى البحث .

والله الموفق ،،

مدخل تمهيدى

(السؤال عن العلاقة بين
اللغة والوجود عند هايدجر)

السؤال عن العلاقة بين اللغة والوجود هو أحد الموضوعات الهامة التى شغلت هايدجر منذ بداية تفكيره الفلسفى: فقبل أن يكمل أطروحته للدكتوراه كتبت فى دراسة له عن المنطق أنه يرغب فى أن يكتشف العلاقة الضرورية بين اللغة والمنطق حتى يمكن أن نعتبر أن الموجود موجود بالفعل أو موجود حقيقى.

وظهر اهتمام هايدجر باللغة واضحاً[1] فى أطروحته للدكتوراه وهى بعنوان: "نظرية الحكم فى النزعة النفسية فى المنطق"[*] عام ١٩١٤م ورسالته المؤهلة للتدريس بالجامعة عن "نظرية المقولات والمعنى عند دنس سكوتس ١٩١٦م، وفيها ذهب إلى أن "المقولة" تشير إلى وجود الموجودات ، و"المعنى" يفترض العلاقة بين الوجود واللغة التى تعبر عنه .

وعلى الرغم من أن هايدجر فى عام ١٩٧٢م كان له رأى سلبى عن قيمة هذه الأبحاث ، فإن طريقه من المنطق إلى الأنطولوجيا كان ضرورياً للفهم الصحيح لفكره المتطور : فلقد أكد هايدجر نفسه أن إهتمامه بمشكلة المقولات بمثابة إرهاص لمفهومه المتطور عن سؤال الوجود ، كما أكد أن بحثه عن المعنى والدلالة فى العصور الوسطى قد أدى به إلى السؤال عن اللغة[2].

---

(1) Kockelmans . J.J : "On the Truth of Being- Reflections On Heidegger's Later Philosophy", Indiana University Pres, Blomington, U.S.A., 1984, P.142.

(*) Die Lehre Vom Urteil im Psychologismus- 1914 .

Die Kategorien - and Bedeutungs lehre des Duns Scotus, 1916.

(2) Ibid., P. 142 .

القى هايدجر فى عام ١٩٢٠م محاضرة بعنوان "فينومينولوجيا الحدس والتعبير"(*) أشار إليه فيما بعد تحت عنوان " التعبير والمظهر"(**) ، وعند ذلك الحين أصبح السؤال عن العلاقة بين الوجود واللغة "محورياً" فى فكر هايدجر(1). أما فى كتابه الرئيسى " الوجود والزمان" Sein und Zeit ١٩٢٧م ، فقد وصف "الآنية" Dasein بوصفها الذات الحقيقية لكل حديث عن الوجود، وأشار إلى أن الكلام الحقيقى يستقل عن النظام السيمانطيقى المنطقى الخاص باللغة؛ فالموضوع الأساسى فى الكتاب يفترض أن كل كلام أو حديث يقوم بصورة نهائية على لغة الوجود ، ولقد دافع هايدجر من ناحية عن الرأى القائل بأن الكلام "ينتج" المعنى إلى الحد الذى نعبر فيه بالكلمات ، وبذلك فهو يتكون فى اللغة، ومن ناحية أخرى وصف اللغة بأنها "إيضاح" "للوجوس" الآنية أو هى المعنى الكلى حيث يكون للوجوس وجود عالمى خاص به . وفيما بعد تخلى هايدجر عن فكرة أن "الآنية لغة". ودافع عن كونها "الجهة" التى تتحدث إليها اللغة ؛ فلم تعد اللغة مجرد أداة ، وإنما أصبحت تتحدث بنفسها ، وأصبح حديث الإنسان مجرد رد فعل لحديث اللغة مما يفترض مسبقاً أن الآنية ينبغى أن "تنصت" إلى لغة الوجود(2) .

أشار هايدجر فى "الوجود والزمان" إلى أن الكلام Rede هو التركيب الأنطولوجى للآنية ، وهو الذى يجعل لغة الحديث ممكنة، وإذا كانت كلمة

(*) Phenomenology of Intuitron and Expression .

(**) Expression and Appearing .

(1) Ibid., P.143 .

(2) Ibid., P.147 .

"لوجوس" Logos(*) تعنى الكلمة ، فذلك لأنها تعنى أساساً عملية التوضيح أو ترك الشئ ليكون مرئياً .

يتضح مما سبق أن هايدجر يربط بين الوجود وأصل اللغة برباط وثيق؛ فاللغة ببساطة هى الوجود ذاته فى صورة كلمات ، ومع ذلك ففى العلاقة بين الوجود واللغة : لغة الآنية ، تبقى لغة الوجود فى مكان الصدارة ؛ إن كلام الإنسان الحقيقى إنما هو استجابة "لصوت الوجود الصامت" كما يرى هايدجر، والنتيجة هى أن اللغة "تبدو" كما لو كانت فى متناول الآنية أو أنها من اختراعها، بينما تكتشف الآنية ذاتها فقط من خلال اللغة(1) ؛ ويعنى ذلك أن الآنية فى حديثها يمكنها أن تصل إلى الحقيقة فقط عندما يتجه إنصاتها وكلامها نحو قول الوجود(2)(**) .

وهايدجر فى "فلسفته المتطورة" يضع الكلام الشعرى الحقيقى، ولغو الاهتمام اليومى على طرفى نقيض ، ويعبر ذلك عن اهتمامه بالتمييز بين الوجود الحقيقى والوجود الزائف، وهو عندما أكد -متأثراً بالشاعر الألمانى هيلدرلين- أن "اللغة بيت الوجود"(***) إنما كان يعنى أن الكلام يتأثر بالاستعمال اليومى، وأن الوجود

(*) فى المؤلفات المتطورة أدى اللوجوس دوراً أساسياً ، حيث أستخدم لتوضيح أن محاولة التفكير فى مشكلة الوجود يجب أن تشتمل على التأمل فى ماهية اللغة ، وأن التأمل فى ماهية اللغة هو الطريق الأساسى الذى ينبغى أن نسلكه إلى الوجود .
(Cp. Kockelmans, J.J : On the Truth..." , P.148.

(1) Ibid., P. 148- 149 .

(2) Ibid .

(**) The Saying of Being .

(***) Sprache ist das Haus des Seins .

ذاته ينكشف عن طريق الآنية المتناهية ، وأن الكلام إذا دل على الوجـود الحقيقى، فإنه يحمل طبيعة كاشفة للوجود تستضئ بالتصميم الحقيقى[1].

وفى "المدخل إلى الميتافيزيقا" سنة ١٩٣٥م وصف هايدجر الوجـود بأنه لغة اللوجـوس فى ضوء الانفتاح ، وبوسع الآنية أن تكـون ذاتـها حقيقـة بوصفها ألـق الوجـود نظراً لأنه لغة أونوجـوس ، واستناداً إلى أن "اللوجـوس" يمدنـا بالأسـاس اللازم للاسـتخدام الحقيقى للكلمات ، وهـو الأمر الذى يدركه الشعراء والمفكرون إدراكاً حقيقياً[2].

ومن ناحية أخرى ، فقد أوضح هايدجر فى "المدخل إلى الميتافيزيقا" أنه ثمة علاقة وثيقة بين السـؤال عن الوجود وأصل اللغة ؛ فالسـؤال عن الوجـود إنما هـو محاولة التعبير عن الوجود من خلال كلمات[3] Zum Wort zu bringen .

وفى محاضرات هايدجر عن هيرقليطس الشذرة B50 التى ألقاها فـى عـام ١٩٤٤م أشار إلى أن ماهية اللغة لاتتمثل فى الصوت أو الدلالة -وهما بحـق مـن خصائص اللغة- وذلك لأنهما لايعبران عن المجال الذى تهتم به اللغة ذاتها، وهـو- فى رأى هايدجر- المجال الأصلى .

---

(1) Langan, T. : (The Meaning of Heidegger- Acritical Study of an Existentialist Phenomenology) , Routledge & Kegan Paul, London, 1959, P. 49.

(2) Kockelmans, J.J. : "On The Truth .." , P. 150.

(3) Ibid., P. 148 .

إن الطريق إلى ماهية اللغة يقوم على الإنصات الجيد للمعنى الأصلى للكلمتين اليونانيتين Legein و Logos الأولى تعنى يقول أو يتكلم ، والثانية هى القول أو الكلام ، واللوجوس عند هايدجر هو "القول الأصلى للوجود" أو هو الوجود بوصفه قولاً ، أو الوجود بوصفه لغة[1] .

فإذا كان الكلام حقيقياً ، فهو استجابة لقول الوجود الأصلى ، بحيث يتم ترك الموجود للانفتاح ؛ فاللوجوس هو بمثابة عملية تجميع the gathered-togetherness للموجودات ولذاتها بوصفها قولاً أصلياً ؛ ويعنى ذلك أن هايدجر فى تلك المحاضرة يحاول أن يفكر فى ماهية اللغة من خلال ماهية الوجود[2].

وفى "خطاب حول النزعة الإنسانية" sumsinamuH ned reb ١٩٤٧م وصف هايدجر مرة أخرى كيف أن العلاقة بين الوجود والإنسان تقوم على التفكير ؛ فالوجود من حيث طبيعته محتجب ، وعن طريق التفكير يحدث تجلى الوجود أو تكشفه ؛ وهذا الظهور يتم حدوثه فقط من خلال اللغة التى تعبر عن الوجود .

ذهب هايدجر إلى أن لغة الإنسان مثل تفكيره، لابد من النظر إليها بوصفها استجابة للوجود ، وأنه عن طريق لغة المفكرين العظام الذين يعبرون من الوجود تستقر الآنية فى بيت الوجود . ويشير إلى أن مهمة الآنية ليست تشييد هذا السكن ؛ إنها بالأحرى تساهم فى اكتماله عن طريق التفكير الذى هو تفكير فى الوجود، ولما كان الوجود ذاته يكون بالفعل على الطريق إلى اللغة، فإن تفكير الآنية يحقق

---

(1) Ibid., P. 150- 151 .

(2) Ibid., P. 151.

الحضور للوجود عن طريق الكلام أو اللغة؛ أو بعبارة أخرى، إن تفكير الآنية يمد الوجود بالكلمات الضرورية لانكشافه وانفتاحه .

يقول هايدجر في "خطاب حول النزعة الإنسانية" إن التفكير في قوله الخاص يحضر الكلمة غير المنطوقة unspoken إلى مجال اللغة ، ويعني ذلك أن الوجود يتم الكشف عنه عن طريق اللغة ، وأنه دوماً في طريقه إلى اللغة، وبذلك تصبح اللغة ذاتها إيضاحاً للوجود[1] .

أما عن موضوع هذا البحث فهو محاضرة ألقاها هايدجر في أكتوبر ١٩٥٠م بعنوان اللغة[*] ، واتخذ فيها قصيدة جورج تراكل بعنوان "أمسية شتوية" مثالاً لتوضيح ماهية اللغة أو أصل اللغة من وجهة نظر أنطولوجية .

يرى هايدجر في هذه المحاضرة أن حديث التفكير الأصلي حديث شاعري Poetic- Dichterisch وليس نثرياً ؛ فالمقابل للقصيدة الشعرية ليس النثر ؛ بل إن النثر الخالص ذو طبيعة شاعرية مثل الشعر ، كما أن صوت الفكر يجب أن يكون شاعرياً؛ لأن الشعر هو قول الحقيقة ، والقول هنا انكشاف للموجودات؛ فهو يدعو كل ما يوجد إلى الحضور في وحدة الوجود التي تجمع بين الموجودات جميعاً . كما

---

(1) Ibid., P. 151- 152 .

(*) ألقى هايدجر هذه المحاضرة في السابع من أكتوبر سنة ١٩٥٠م في بولر هيه Bühlerhöhe في نكرى النقاد الأدبي ماكس كومريل M.Kommerell ، وأعيدت مرة أخرى في الرابع من فبراير سنة ١٩٥١ في شتوتجارت Stuttgart ، ثم نشرت في كتاب هايدجر "على الطريق إلى اللغة Unterwegs zur Sprache" .
(Cp. Heidegger, M. : "Poetry Language and Thought" trans .by A. Hofstadter, Harper & Row Publishers, New York, U.S.A. 1975, P. XXV. .)

سيأتي بيانه ؛ ذلك أن الشعر عند هايدجر تأسيس للحقيقة ، واللغة الحقيقية هي التي تحضر من خلالها الموجودات في انفتاح الحقيقة ، وهذه اللغة هي الشعر ، لذا وقع اختيار هايدجر في هذه المحاضرة على قصيدة تراكل "أمسية شتوية" ، وهي القصيدة التي توضح لنا -كما سيأتي بيانه- أن اللغة تدعو إلى حضور رباع العالم الفريد(*) : الأرض - السماء -الفانون- الخالدون (رسل الربوبية) ، وتدعو الأشياء إلى الحضور ، كما تدعو إلى العلاقة الحميمة بين العالم والأشياء والفرق بينهما(١) .

(*) في محاضرة هايدجر عن "اللغة" اتضح تأثير محاضرته عن "الشئ" سنة ١٩٥٠م ؛ فالوجود (الواحد) يُدرك بوصفه رباعاً فريداً das Geviert - Fourfold ، وهذا الرباع بدوره يترك الأشياء كي توجد، ويسمح بالتفكير في الموجودات؛ فاللغة في أصلها لوجوس وصمت يجد في رحابه كل الموجودات ما يحتاجونه من راحة وسكينة .

(Cp. Richardson W.J. : Heidegger , Through Phenomenology to Thought", P.577) .

(١) Heidegger M.Poetry, Language, Thought", trans. and Introduction by Hofstadter A., P.IX, X, XII, XIII .

المفهوم الفلسفى لمحاضرة "اللغة"

فـى

مؤلفات هايدجر المتطورة

(أولاً) الإنسان بوصفه إنساناً موجود يتحدث :

يقول هايدجر :

"الإنسان يتحدث ، ونحن نتحدث في حال اليقظة والحلم، نحن نتحدث دوماً حتى عندما لانتفوه بكلمة واحدة بصوت عال ، وإنما ننصت أو نقرأ ، وحتى عندما لاننصت أو نقرأ فنحن نقوم بعمل ما أو نركن إلى الراحة .. نحن نتحدث باستمرار بطريقة أو بأخرى ، ونحن نتحدث لأن الحديث أمر طبيعي بالنسبة للإنسان ، فالإنسان يتحدث وفقاً لطبيعته ، والإنسان تمييزاً له عن النبات والحيوان هو الكائن الحي القادر على الحديث "[1] .

ويعني ذلك - كما يرى هايدجر - أن الحديث وحده هو الذي يمكن الإنسان من أن يكون كائناً حياً بوصفه إنساناً ؛ فاللغة تدخل في علاقة قرب وثيقة مع وجود الإنسان ، ونحن نلتقي باللغة أينما ذهبنا ، فهي من ثم لاتفاجئنا؛ بل إنه ما أن يدرك الإنسان ذاته وما يوجد حوله من موجودات حتى يدرك وجود اللغة في الوقت نفسه[2] .

وضع هايدجر محاضرات ثلاث عن "ماهية اللغة" Das Wesen der Sprache، يقول في "المقدمة" : إن هدفه هو "*الدخول في تجربة مع اللغة*" ولا يعني ذلك أن نقوم بتجارب على اللغة أو نجمع معلومات عنها كما يفعل علماء اللغة

---

(1) Heidegger, M., : "Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache" Vittorio Klosterman Frankfurt am Main, Gesamtausgabe, Band 12, Germany, 1985, S.9.

(2) Ibid, S.9.

وما بعد اللغة"(*) ، بل معناه أن ننتبه إلى "علاقتنا باللغة" ، ونتأمل في سكننا في اللغة ، ونستوضح طبيعة شئ يتعلق بصميم وجودنا"(١) .

في المحاضرة الأولى ، حاول هايدجر أن يلفت انتباهنا إلى التجربة الشعرية في اللغة مبيناً الصلة بين التفكير والشعر . وفي المحاضرة الثانية ألقى مزيداً من الضوء على طبيعة هذه الصلة ومنهج التمييز بينهما . أما المحاضرة الثالثة -وهي موضوع بحثنا- فهي محاولة للدخول في تجربة مع اللغة(٢) .

يقول هايدجر : ".. سوف نفكر في اللغة ذاتها وحسب ، فاللغة ذاتها هي اللغة ولا شئ غير ذلك .."(٣)

(*) سؤال هايدجر عن ماهية اللغة لاينتهج مسلك الميتافيزيقا الحديثة التي تتقيد بها بحوث "ما بعد اللغة" ، وهي بحوث السيطرة التقنية التي تهدف إلى تشغيل أداة التوصيل والإعلام بين الكواكب المختلفة، أما ما بعد لغة فهي لغة بعدية تنصب على دراسة لغة أخرى (الحساب المنطقي) وتضم نظريات بعدية عن الخصائص البنائية والدلالية والصورية للغة التي تدرسها ، ولهذه النظريات أهمية كبرى في تطور السيبرنطيقا والعقول الحاسبة .

(قارن : عبد الغفار مكاوى : نداء الحقيقة ، ص : ٢٠٦) .

(١) عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" - ترجمة ودراسة وتقديم ، سلسلة النصوص الفلسفية (٩)، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ، ١٩٧٧، ص : ٢٠٦ .

(2) Kockelmans, J.J, : "On The Truth of Being", P.158-159 .

(3) Heidegger, M. : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache), S.10.

إذن علينا أن نحيا تجربة اللغة بحيث تعبر عن نفسها بنفسها ؛ فاللغة تتميز بأننا نعيش فيها، ونألفها دون أن ننتبه إلى ذلك أو نحاول لركيز أبصارنا عليها، فكيف نخرج من هذه الحال ونفكر في ماهيتها أو أصلها ؟[1]

ذلك السؤال هو ما يحاول هايدجر الإجابة عليه في هذه المحاضرة .

(ثانياً): اللغة تتحدث : Die Sprache Spricht- Language Speaks

يقول هايدجر في محاضرته "اللغة" :

".. كيف تحدث اللغة بوصفها كذلك ؟ والإجابة هي أن اللغة تتحدث".ولكن هل يُعتبر ذلك إجابة ؟ يمكن أن يكون الأمر كذلك إذا عرفنا ما هو الحديث: ... إن تأمل اللغة يتطلب الدخول في حديث اللغة كي نمكث مع حديثها وليس مع حديثنا ... ونحن لانريد أن نؤسس اللغة بناء على شئ آخر يختلف عن اللغة ذاتها ، كما لاتهدف إلى تفسير الأشياء الأخرى عن طريق اللغة .. "اللغة هي اللغة"[*] ، وهذه العبارة لاتؤدي إلى شئ آخر تقوم عليه اللغة ... اللغة تتحدث .. ونحن إذا سلمنا بهذا المعنى نشعر بالإلف والسكن والعثور على المستقر[2] ..اللغة تتحدث ، ماذا عن حديثها ؟ وأين نلتقي بهذا الحديث .. حديث اللغة يبين كيف يمكن الحفاظ على اللغة ، وتحقيق الحضور لها"[3].

---

(١) عبد الغفار مكاوى : نداء الحقيقة ، ص : ٢٠٦ .

(*) "Die Sprsche ist Spache- Language is Language".

(2) Heidegger ,M. : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache), S.10-11.

(3) Ibid, S.13- 14.

يتبين لنا من النص السابق أن اللغة تتحدث بمقدار ما تشير وتوضح . وبمقدار ما تتغلغل في كل مجالات الحضور ، وبمقدار ما تترك ما هو حاضر ليكشف عن نفسه أو يحتجب . ويترتب على ذلك أنه علينا أن ننصت إلى اللغة، وأن نترك ما نقوله يتحدث بنفسه إلينا ، وهذه الإرادة في أن نترك اللغة تتحدث بنفسها إلينا تسبق كل أنواع الاستماع أو الإنصات . كما أن حديثنا يأتي بعد الإنصات إلى اللغة ؛ فالصوت غير المسموع للغة هو الذي يثير فينا إرادة الحديث[1].

إذن علينا أن نسمح للغة بأن تتحدث بنفسها إلينا ، ويفترض ذلك مسبقاً أن أسلوب وجودنا منفتح أصلاً على ما تقوله . نحن ننصت إلى "حديث" اللغة فقط إلى الحد الذي نكون فيه في المجال الذي تنفتح فيه إلينا في "حديثها"؛ فاللغة تمكن الإنسان من الإنصات إليها ، ومن ثم تتيح له إمكانية الحديث[2].

ذهب هايدجر إلى أن الرأي السائد في تفسير معنى الحديث هو أنه التعبير الذي يمكن الاستماع إليه، ومن ثم يصبح وسيلة للإتصال بمشاعر الإنسان وأفكاره! إلا أن هذا الوصف للغة يثير أموراً ثلاثة يتم التسليم بها بلا مناقشة:

أولاً : القول بأن الحديث هو التعبير ، وهو أكثر الآراء شيوعاً ، ويفترض مسبقاً وجود فكرة عن شئ داخلي يعبر عن نفسه تعبيراً خارجياً . إلا أن هذا التصور عند هايدجر يحيل اللغة إلى تصور خارجي وسطحي .

---

(1) Kockelmans J.J : "On the Truth ..", P.153.

(2) Ibid .

ثانياً : القول بأن اللغة نشاط للإنسان ، فالانسان يتحدث دوماً لغة ما، ولا يمكن القول في إطار هذا الرأى بأن "اللغة تتحدث" ، وإنما "اللغة هي التي تحقق للإنسان الوجود" ؛ فالإنسان يتحدث عن طريق اللغة .

ثالثاً : القول بأن التعبير الإنساني إنما هو عرض أو تفسير لما هو موجود في الواقع .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن هايدجر يرى أن الآراء السابقة لاتكفي لمعرفة ماهية اللغة ؛ فهناك من جهة من يؤكدون أن مصدر اللغة إلهي وليس إنسانياً خالصاً ، وهناك من جهة أخرى من يعرفون اللغة بأنها كلام مسموع يعبر عن الانفعالات الداخلية .. إلخ ، إلا أن هذه التفسيرات لاجدوى من ورائها في وصف ماهية اللغة ؛ فهي وإن كانت يقبلها العقل ، فإنها لاتجعلنا قط نفهم اللغة بما هي كذلك[1] .

يعني ما سبق أنه على الرغم من أنه يمكن القول بأن اللغة لاتتحدث ما لم يجعلها الإنسان أولاً تصدر صوتها عن طريق أعضاء الكلام ، فإنه من الصواب أيضاً أن نقول -ولقاً لما يراه هايدجر- إن اللغة نفسها تتحدث ؛ وهي تتحدث بمقدار ما تفصح لنا عن شئ ما ، أو تكشف النقاب عنه[2] ، والإنسان في حديثه[*] إنما "ينصت" إلى ما ينبغي أن تقوله اللغة .

---

(1) Heidegger, M. : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache) S.11-13.

(2) Kockelmans. J.J. : "On the Truth..." , P.153.

(*) يلاحظ هنا التمييز الدال بين الحديث Speeking والقول saying ؛ فمن الممكن للإنسان أن يتحدث كثيراً بينما لايقول شيئاً ، ومن الممكن أن يقول كثيراً من خلال الصمت !

(Cp. Kockelmans J.J. : "On the Truth..", P.152.

يرى هايدجر أن "الإنسان لايكون كذلك إلا بقدر ما ينصت إلى نداء اللغة، وبقدر ما يُستخدم للغة وللحديث بها" ، وهذه العبارة تقلب علاقة الإنسان باللغة رأساً على عقب : فإذا كانت اللغة مسكن الإنسان الذى يحيا فيه دون أن ينتبه إليه أو يتفكر فى أمره ، فهو أبعد الأشياء عنه وأقربه إليه فى الوقت نفسه ! والإنسان هنا يتوارى قليلاً كى تحتل اللغة المقدمة .. فاللغة هى التى تستخدم الإنسان ، وعليه أن ينصت إليها[1] ؛ والإنسان من حيث طبيعته "ملقى" به فى اللغة[2] ؛ أى أنه فى حدوث اللغة ، يصبح للوجود مكان الصدارة لا بمعنى إيجابى فقط ، وإنما بمعنى سلبى[3] متضمن فى واقعة الارتماء فى العالم الخاصة بالموجود الإنسانى .

إذن الإنسان عند هايدجر يحاول أن يعد نفسه للدخول فى تجربة مع اللغة، و"التفكير" يعنى عنده أولاً وقبل كل شئ "الإنصات" ؛ فاللغة هى التى تتجه بذاتها إلينا ، وتتحدث إلينا عن ماهيتها الخاصة[4] .

وجدير بالذكر أن الدخول فى تجربة مع اللغة لايعنى أن هذه التجربة من صنع الإنسان ، فالإنسان يخضع لها، ويتقبلها عندما تفاجئه ، ويتحملها عند حدوثها ، فإذا ما عثر الإنسان على الطريق الصحيح لوجوده فى اللغة ، فإنه تتكون لديه تجربة أصلية مع اللغة تمس صميم وجوده ، ويتحقق له التحول الذى ينشده[5] .

---

(١) عبد الغفار مكاوى : "نداء الحقيقة" ، ص ٢١٤ .

(*) "By nature man is thrown into Language".

(2) Kockelmans, J.J. : "On the Truth .." , P.149.

(3) Ibid., P.163.

(4) Ibid., P. 159 .

(ثالثاً) ماهية اللغة هي لغة الماهية :

يمكن القول في ضوء ما سبق أن "اللغة" أو الكلمة هي التي تساعد الشئ على الوجود أو تحفظه ، أو أنها هي التي تجعله شيئاً . والعلاقة بين الشئ والكلمة أقرب إلى "التمكين" ؛ فالكلمة هي التي "تمكن" الموجود من الوجود ، وتكفله له .

والكلمة "لا تكون" بالمعنى الذي "تكون" به الأشياء والموجودات: بل إن وجودها متميز عن سائر الأشياء ؛ فلا نقول إنها تكون ، وإنما إنها "تعطي" Es gibt ، وهي تعطي الوجود بمعنى "الإنارة" التي تتجلى فيها الموجودات وتظهر دون حاجة منها إلى خلقها وإيجادها[1].

إذن اللغة عند هايدجر هي "لغة الوجود" ، ولابد أن تتحدث إلينا ، وأن تعبر لنا عن ماهيتها "لماهية اللغة هي لغة الماهية" ، ولن يتسنى لنا تجربة اللغة حتى يحدث هذا ، وخير ما يمهد لهذا الحدث أن نحس بالقرب بين الشعر والفكر، ونتمكن من السكن في هذا القرب كما سيأتي بيانه تفصيلاً .

"إن ماهية اللغة هي لغة الماهية" : الماهية في الشطر الأول من العبارة تختلف عن الماهية في الشطر الثاني ؛ في الأول تأتي إجابة على السؤال عما هي اللغة ، وهي هنا الموضوع الذي نبحث عن ماهيته عن طريق تصورنا عنه بحيث يمكننا الإجابة عن السؤال "ماهو؟" ؛ أي أن هذا الشطر يعبر عن مجال التصور الميتافيزيقي التقليدي ؛ أما الماهية في الشطر الثاني من العبارة فهي التي تنقلنا من ميدان التصور الميتافيزيقي إلى مجال الفكر غير الميتافيزيقي ؛ فهي ليست الآن إجابة على السؤال عما هو الموضوع ؛ فلسنا بصدد موضوع أو شئ موضوعي؛ وإنما تفيد الحفاظ

(١) عبد الغفار مكاوي : "نداء الحقيقة" ، ص ٢١١-٢١٣ .

والعطاء ، فاللغة تتصل بصميم وجودنا ، وتحركه وتنتمي إلى الماهية التي تحرك وتمنح[1] .

إن اللغة عند هايدجر توجه إلينا النداء ، ونحن ننصت إليها باستمرار ، ولكننا لانفكر في ذلك ، وإذا لم ننصت إليها في كل مكان ، لن يكون بوسعنا أن نتحدث ولو كلمة واحدة ، بحيث يمكن القول بأن "ماهية اللغة هي لغة الوجود"؛ فالوجود ملك للغة ، ولم يعد يعني الماهية ، وإنما الحضور ، والحفاظ، وهو بهذا المعنى يُسمي ما يشغلنا وما يثير انتباهنا من الأشياء ، لأنه يصنع طريقه إلى كل الأشياء ، وهو يصنع ذلك الطريق لأنه "يتحدث"[2] .

يتضح مما سبق أن ماهية اللغة ترتبط بالقول الأصلي[*] (Ursage-Primordial Saying) بوصفه إيضاحاً وكشفاً ، والإنسان بوسعه أن يصل إلى الحقيقة فقط عندما يتجه في إنصاته وحديثه نحو قول الوجود The Saying of Being[3].

والقول يعني "التجلي" و "الظهور" و"الهبة" ، و"التحرير"، وما يُمنح هنا هو العالم الذي يوضحه القول بالكشف عنه ، ومنح العالم الذي يتسم بالإنارة والاحتجاب

---

(١) نفس المرجع ، ص ٢١٥- ٢١٦ .

(2) Kockelmans, J.J. : "On The Truth...", P. 163- P. 166.

(*) يلاحظ أن العلاقة بين الوجود والقول الأصلي سيطرت على تاريخ الفلسفة منذ ظهورها ؛ وتجلى ذلك في كلمة "لوجوس" ، وهذه الكلمة تعبر أيضاً عن العلاقة بين الشئ والكلمة .

(3) Ibid., P. 149- 152.

هو ماهية القول فى اللغة[1] . فضلاً عن أن قول اللغة يحرر العالم بحيث يكون متناهيا وزمانياً[2] .

إن وظيفة اللغة عند هايدجر هى "ترك الوجود ليكون ذاته"[3] . ولأن الموجودات الأخرى بخلاف الإنسان لايتوفر لديها هذا المدخل الخاص إلى اللغة، فإنها لاتستطيع أن تتحدث ؛ ذلك أن المعنى الأساسى للتفكير هو ترك الموجود لكى يوجد ، ولكى يعبر عن الحقيقة فى صورة كلمات[4] .

أشار هايدجر إلى علاقة القرب بين الشعر والتفكير فضلاً عن كونهما نوعين من القول ، كما أشار إلى أن إدراك هذه العلاقة قد يتيح لنا الدخول فى تجربة مع اللغة[5] ، وهو الهدف الذى أكد على أهميته فى مستهل محاضرته عن "اللغة" كما سيأتى بيانه فيما يلى .

---

(1) Ibid., P. 165.

(2) Ibid., P. 153.

(*) "To let Being be itself"

(3) Richardson W.J., "Heidegger, Through Phenomenology..", P.540- 541.

(4) Kockelmans J.J.: "On the Truth .." , P.166.

(رابعاً) علاقة القرب بين الشعر(**) والتفكير :

يقول هايدجر : "موضوع الحديث الخالص هو الشعر(*) وعلينا أن نعتبر هذه العبارة فرضاً أساسياً"(1) يبدو من النص السابق أن التفكير في ماهية اللغة ألجأ هايدجر إلى التماس العون من الشعراء ربما لأن علاقتهم باللغة متميزة، ولأنهم أقدر من غيرهم على التعبير عنها ، ولأن الشاعر هو حارس الكلمة ومدبرها(2).

يرى هايدجر أنه حتى عندما نبدأ في التفكير ، وننصت إلى الشعراء(3) - وكلاهما يدوران في فلك اللغة - وعندما نعكف بالقرب من الشعر والتفكير، فإننا لانعرف حقيقة ماهية ذلك القرب ؛ وإنما نكون على الطريق إليه وحسب(3).

(**) Dichtung- Poetizing لاتعني بالألمانية مجرد نظم الشعر ، وكلها تعني النشاط الذي يخلق ويشكل ، ويتحقق على صورة كشف أنطولوجي (قارن : مارتن هايدجر : ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا - هيلدرلين وماهية الشعر ترجمة فؤاد كامل ، محمود رجب ، مراجعة عبد الرحمن بدوي ، سلسلة نصوص فلسفية ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص : ١٣٩) .

(*) Rein Gesprochenes ist das Gedicht - What is Spoken Purely is the Poem.

(1) Heidegger, M : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache) , S.14.

(٢) عبد الغفار مكاوي : "نداء الحقيقة" ، ص : ٢٠٧ - ٢١٠ .

(**) تحول هايدجر في منتصف الثلاثينيات نحو الفن تحولاً واضحاً في محاضرته عن "الأصل في العمل الفني" ، ومحاضرته عن "هيلدرلين وماهية الشعر" ، والفن كل فن عند هايدجر هو من حيث الماهية شعر .

(Vgl. : Winfried, F. : "M. Heidegger", I.B. Metzlersche Verlagsbuch- handlung, Stutt gart, 1970, Germany, S.71) .

(3) Kockelmans, J.J. : "On The Truth .." , P. 169.

وما يتعلمه الشاعر من تجربته مع اللغة هو أن الكلمة تؤسس الشئ بوصفه كذلك، وتجعله حاضراً ، وإذا كانت التجربة الحقيقية مع اللغة تجربة تفكير عند هايدجر ، فلا ينبغي أن نغفل أن طريق التفكير يرتبط بعلاقة القرب وثيقة مع طريق الشعر الحقيقي؛ فكلاهما في حاجة للآخر كي يتأسس الوجود، وكلاهما طريقة في القول Sagen- saying ، وتدل هذه العلاقة على معنى الإلف والسكن في هذا القرب[1].

وإذا كانت "اللغة بيت الوجود" فإن اللغة هي التي تكشف عن الوجود ذاته، وبمقدار ما يتم التعبير عن الوجود عن طريق اللغة ، تصبح هذه اللغة لغة الوجود مثلما تكون السحب سحب السماء ، فضلاً عن أن الوجود في حاجة إلى الموجود هناك أو الموجود الإنساني كي يوجد ، وبالتالي فإن التفكير في الوجود لايتم إلا عن طريق اللغة التي يتمتع بها الإنسان راعي الوجود[2].

ولكن ما طبيعة الصلة بين التفكير والشعر عند هايدجر ؟ يرى هايدجر أن *"المفكر يتحدث عن الوجود أما الشاعر فهو يسمي المقدس"*[3] ؛ أي أن الشعراء هم الذين يسمون الآلهة ، ويسمون الأشياء والموجودات ، وبهذه التسمية أعانوا الإنسان

---

(1) Ibid., P. 161- 165 .

(2) Richardson W, J. : Heidegger, Through Phenomenology to Thought", P. 535, 540 .

(*) The thinker utters Being, the Poet names the Holy- Der Denker sagt das Sein, Der Dichter nennt das Heilige" (WM) S.51.

على أن يتحقق فى التاريخ ، وفى العالم ، ويتصل بالأشياء من حوله[1]. فالشعر تأسيس للوجود عن طريق الكلام[2].

وإذا كانت ماهية الشعر تكمن أساساً فى علاقته الخاصة بالوجود والحقيقة. فذلك لأن الشعر انفتاح للموجود ، وهذا الانفتاح يحمل معان ثلاث: البدء Anfangen والتاسيس Gründen، والهبة[3][4] Schenken : فالأشياء يتحقق لها الحضور عندما يسميها الشاعر ، وهى غير موجودة مادامت عالم لم يسمى بعد[5].

(خامساً) التفسير الأنطولوجى لقصيدة تراكل :

يقول هايدجر : فى محاضرة "اللغة" : ".. ولكن ماهى تلك القصيدة التى تعنينا أكثر من غيرها .. كى ننصت إلى موضوع الحديث ؟ إنها قصيدة بعنوان " أمسية شتوية Ein Winteralend – Awinter Evening لجنورج تراكل"[6].

---

(١) مارتن هايدجر : فى الفلسفة والشعر ، ترجمة وتقديم عثمان أمين ، مكتبة نهالس الفلسفة الغربية ، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ، ١٩٦٣، ص : ٢٤ ..

(٢) نفس المرجع ، ص : ٩٢.

(**) يقال فى الألمانية Es gibt das wort It gives the word- ومعناها كما يرى هايدجر أن الكلمة تمنح ذاتها ، وهى فى ذلك تمنح الوجود أيضاً .

(Cp. Kockelmans J.J : "On The Truth ..", P.165.

(3) Winfried . "M, Heidegger", S.72.

(4) Kockelmans, J.J. : "On The Truth..", P.161.

(5) Heidegger, M.: "Die Sprache.." , S.14.

تقول القصيدة(*) :

حينما يتساقط الثلج فوق النافذة

وتدق أجراس المساء دقاتها المتواصلة

تكون المائدة قد أعدت لعدد من الناس كبير

والبيت في أحسن أحواله .

وبعض المتجولين

يقفون عند البوابة في الدروب المظلمة

وتثمر شجرة النعم ثمارها الذهبية

(*) EIN WINTERABEND

Wenn der Schnee ans Fenster fällt,
Lang die Abendglocke läutet,
Vielen ist der Tisch bereitet
Und das Haus ist wohlbestellt.
Mancher auf der Wanderschaft
Kommt ans Tor auf dunklen Pfaden.
Golden blüht der Baum der Gnaden.
Aus der Erde Kühlem Saft
Wanderrer tritt still herein;
Schmerz versteinerte die Schwelle.
Da erglänzt in reiner Helle
Auf dem Tische Brot und Wein.

A WINTER EVENING

Window with falling snow is arrayed,
Long tolls the vesper bell,
The house is provided well,
The table is for many laid.
Wandering ones, more than a few,
Come to the door on darksome courses.
Golden blooms the tree of graces
Drawing up the earth's cool dew.
Wanderer quietly steps within;
Pain has turned the threshold to stone.
There lie, in limpid brightness shown,
Upon the table bread and wine.

(Cp. Halliburton, D. "Poetic Thinking - An Approach to Heidegger" The Uni. of Chicago Press Ltd, London, 1981, P.185- 186.

II من العصارة الرطبة للأرض !

* * *

ويدلف المتجول إلى الداخل

والألم قد أحال البوابة إلى حجر

III وهناك يسطع فوق المائدة

الخبز والنبيذ ناصعاً نقياً(*) .

أ- البنية الفنية للقصيدة :

قام هايدجر بتحليل القصيدة في محاضرته عن "اللغة" فذهب إلى أنها تتكون من مقاطع ثلاثة ، "الوزن والإيقاع" فيها يمكن تعريفهما بدقة وفقاً للقواعد الخاصة بالشعر ، أما مضمون القصيدة فيمكن فهمه ؛ إذ لاتوجد كلمة واحدة غير مألوفة أو تتسم بالغموض ، إلا أن البيتين الثالث والرابع في المقطع الثاني يتسمان ببعض الغرابة .

و"الخيال" في القصيدة يبرز جمالها الاستطيقي من ناحية البنية الفنية . والقصيدة عموماً وصف لأمسية شتوية" : المقطع الأول منها يصف ما يحدث في الخارج من تساقط الثلوج ورنين أجراس الماء ، والأشياء في الخارج تمس الأشياء الموجودة داخل البيت في الصميم؛ فالثلوج تتساقط فوق زجاج النافذة، ورنين أجراس الماء تدلف إلى كل بيت ، بينما قد تم إعداد كل شئ، بما في

(*) هذه الترجمة للقصيدة محاولة متواضعة من كاتبة السطور لنقلها إلى اللغة العربية.

ذلك المنضدة الخاصة بتناول المأكل والمشرب على خير مايرام[1].

أما المقطع الثانى من القصيدة فيبرز تناقضاً ؛ فبينما يجلس عدد كبير من الناس إلى المائدة بالداخل ، فإن بعض المتجولين يترددون فى الدروب المظلمة جيئة وذهاباً ولايبيت ينزلون فيه . وهذه الدروب تنتهى إلى بوابة .

وفى المقطع الثالث يُدعى المتجول الوحيد إلى الدخول من الظلام الحالك فى الخارج إلى الضوء المشع داخل البيت .

من ذلك العرض السريع لمضمون القصيدة ، يتضح كيف تم استخدام - اللغة - للتعبير عن مشاعر البشر، وموقفهم من العالم الذى يواجههم ؛ ومع ذلك فإن هايدجر يرى فى عبارة هامة[2] له أن اللغة ليست تعبيراً ولانشاطاً صادراً عن الإنسان ، وإنما "اللغة تتحدث"[2] .

كما يبين أننا الآن نبحث عن "حديث اللغة فى القصيدة" ؛ فإذا كان "عنوان القصيدة " هو أمسية شتوية ، فإن ذلك العنوان قد يجعلنا نتوقع أن القصيدة وصف لأمسية شتوية كما تحدث فى الواقع ؛ ولكن القصيدة لاتصور تلك الأمسية وفقاً لزمان أو مكان محددين ، كما لايمكننا الزعم بأن هذه الأمسية قد حدثت بالفعل فى ذلك الزمان أو المكان ، فالقصيدة زاخرة بالخيال حتى عندما تصف لنا أمراً يمكن حدوثه فى الواقع . والخيال الشعرى فى هذه القصيدة "يتحدث" ، وموضوع الحديث هو ما

---

(1) Ibid., S. 15-16.

(2)(*)"Die Sprache ist in ihrem Wesen Weder Ausdruck noch eine Betätigung des Menschen, die Sprache Spricht", (Cp. Heidegger, M."die Sprache", S.16.

يدور في خلد الشاعر ، وما يعلن عن مضمونه : و"لغة القصيدة" يمكن تفسيرها على أنحاء شتى ، واللغة تبرهن على أنها تعبير ؛ ومع ذلك فهذه النتيجة تتعارض مع القضية القائلة بأن "اللغة تتحدث" بافتراض أن "الحديث في ماهيته الأساسية ليس تعبيراً ، أو بعبارة أدق ، فإن القول بأن اللغة تعبير لا يفسر لنا[1] ماهية اللغة .. فالعبارة الدالة القائلة بأن " اللغة تتحدث " تعني أن اللغة - وليس الإنسان - هي التي تتحدث، ولا ينكر بذلك هايدجر أن "الظواهر اللغوية " تندرج تحت عنوان رئيسي هو التعبير Ausdruck - expression ، ولكن الأمر يؤدي إلى تساؤل هام : كيف يتحدث الإنسان ؟ وما هو الحديث ؟[2]

يتضح مما سبق أن هايدجر قد استخدم قصيدة "تراكل" في محاضرة اللغة لتوضيح كيف تترك اللغة العالم ليكون موجوداً ؛ فيرى هايدجر أن المقطع الأول من القصيدة يدعو "الأشياء" إلى الحضور ، والمقطع الثاني يدعو "العالم" إلى الحضور، أما المقطع الثالث فيتناول "الفرق" بين العالم والأشياء ، وهذا الفرق يحدث عن طريق قول اللغة بصفة خاصة[3] . أو عن طريق الوجود بوصفه قولاً Sagen- Utterance .

إذن ماهية اللغة عند هايدجر لاتنفصل عن ماهية الوجود ، والشعر تأسيس للوجود ، علماً بأن كل عمل فني تأسيس للحقيقة ، وهو من ثم في ماهيته شعر[4]، كما

---

(1) Ibid., S.17.

(2) Ibid., S.18 .

3, Kockelmans, J.J. : "On The Truth...", P. 153-154.

(4) Richardson W.J. : "Through Phenomenology..", P.498.

أن الفكر والشعر ينبعان من اللوجوس ذاته، والفكر مستمداً من الشعر الأصلي له سمة شعرية خاصة به ، ولا يمكننا فهمها حتى ندرك الماهية الأصلية للغة أو اللوجوس[1].

يرى هايدجر أن اللغة تحدث بوصفها الفرق بين العالم (الوجود) والأشياء (الموجودات)[*]، وهو ما يُسمى عنده بالفرق الأنطولوجي Ontologische Differenz ، ولكي يحدث اللوجوس بوصفه فرقاً أنطولوجياً تظهر الحاجة إلى الإنسان أو الموجود الإنساني الذي ينفتح وجوده على اللوجوس بوصفه فرقاً[2]، والوجود ندركه بوصفه لوجوس بمقدار ما ندرك اللوجوس بوصفه اختلافاً ، وحدوث هذا الاختلاف هو الذي يظهر الفرق الأنطولوجي . ومهمة الإنسان تنحصر في الإستجابة إلى النداء الموجه إليه والمعبر عن حاجة اللوجوس إلى "الهناك" أو "العالم" كي يحدث هذا الفرق ، فضلاً عن أن الاستجابة لهذا النداء هي بمثابة حدوث للغة الإنسانية في صورتها الحقيقية[3].

---

(1) Ibid, P. 558.

(*) "Die Sprache west als der sich ereignend Unter- Schied für Welt und Dinge"

(2) Ibid., P. 580 .

(*) في تأملات هايدجر المتطورة حول اللغة ذهب إلى أنه في "الفرق الأنطولوجي" يكون الوجود لهماً أصلياً للحقيقة ، والحقيقة هنا تعني الانفتاح أو الكشف ؛ كما يصبح العالم مشيراً إلى المعنى أو الدلالة الكلية للموجودات ، والموجودات إما أن تكون موجودات متعينة أو موجودات في كليتها ، والعالم والموجودات يختلفان اختلاف العالم والأشياء في الفرق الأنطولوجي .

(Cp. Kockelmans. J.J. : "On The Truth..", P. 157- 158 .

(3) Ibid., P. 581.

ومن ناحية أخرى يرى هايدجر أن "اللوجوس" يعبر سلباً عن مجال "مالايقال" الكامن وراء كل قول أصلى ؛ وأن هذا المجال ليس عدماً أو لاشئ؛ بل هو الثروة الكامنة لما يقال ؛ إنه صوت بلا ضجيج ، فكل تسمية أصلية وحقيقية تعبر عن شئ لايقال .

إذن للوجود الأولوية فى حدوث اللغة ، ليس فقط فى إيجابيتها ، وإنما فى سلبيتها أى فى مجالها غير المقول . والإنسان ولقاً لطبيعته "ملقى به" فى اللغة ، وهو من ثم لديه الوجود السلبى بوصفه كلاماً غير مقول ، ويتم ذلك عندما يتغلغل الإنسان فى مجال غير المقول the un - said بالتغلغل وراء المعانى المألوفة اليومية . وذلك فيما يسمى عند هايدجر "بالقرار"[1] decision - أو "التصميم" Entschlossenheit – Resoluteness .

(ب) التسمية فى قصيدة تراكل Das Nennen- The Naming

يتساءل هايدجر فى محاضرة "اللغة" عن طبيعة "التسمية" فى قصيدة تراكل، وطبيعة الدور الذى تؤديه فى القصيدة ،كما يتساءل عما إذا كانت هذه التسمية تكشف الأشياء والأحداث المألوفة مثل الثلوج – الأجراس – النافذة، تساقط الثلوج ، رنين الأجراس وذلك من خلال اللغة .

يرى هايدجر أن هذه التسمية هى بمثابة نداء للكلمة ، "فالتسمية نداء"[*] ، والنداء يقرب المنادَى ، ويحقق الحضور للموجودات حتى تصبح أكثر قرباً[1]؛ فى التسمية تُنادى الأشياء التى نسميها إلى شيئيتها ، ويتم الكشف عن العالم[2].

---

(1) Ibid., P. 609- 610 .

(*) Das Nennen ruft - The naming calls .

ولكن النداء Das Hernfen – The Calling يوجه نداءه إلى المنادى حيث يكون ذلك المنادَى غالباً ، وهو فى ذلك ينادى للقرب ، ومن ناحية أخرى فإن النداء ينادى ذاته ؛ فيبقى دائماً "هنا" و "هناك" . "هنا" فى الحضور Anwesen - Presence و "هناك" فى الغياب Abwesen- Absence .

يرى هايدجر أن تساقط الثلوج ، ورنين الأجراس فى القصيدة يتحقق لهما الحضور فى النداء . فإذا كان الأمر كذلك ، فما الذى ينادَى عليه فى المقطع الأول من القصيدة ؟ أو ما موضوع النداء ؟

إن المقطع الأول ينادى الأشياء ، ويدعوها إلى الحضور ، وهو لايدعوها إلى الحضور لتكون بين الأشياء الحاضرة ؛ فهو لايدعو المنضدة المذكورة فى القصيدة للحضور بين صفوف المقاعد ؛ فالنداء يدعو الأشياء للحضور بعد أن كانت محتجبة فى الغياب .

ومن ناحية ثالثة ، يرى هايدجر أن "التسمية دعوة"[*] ؛ إنها "تدعو" الأشياء للحضور فى عالم الإنسان : فتساقط الثلوج يجعل البشر يستظلون بالسماء التى تميل إلى الغمام ليلاً ، ودقات أجراس المساء تجعلهم "كفانين" die mortals - Stereblichen [3] فى مواجهة الخالدين (أو رسل الربوبية) das the divine- Göttliche

---

(1) Heidegger, M. : "Die Sprache..", S.18.

(2) Ibid., S. 19.

(*) Das Heissen ist Einladen- Bidding is inviting .

(3) Ibid., S. 18-19.

وفي البيتين التاليين :

البيت في أحسن أحواله

والمنضدة قد أعدت لعدد من الناس كبير .

يبدو الحديث كما لو كان عن شئ حاضر ويؤكد ذلك فعل الكينونة المفهوم ضمنياً فيهما ؛ ومع ذلك فالبيتان يتحدثان بطريقة النداء، ويحققان الحضور للبيت والمنضدة التي أحسن إعدادهما ؛ إلا أن ذلك الحضور يتجه نحو شئ ما لم يزل غائباً .

إذن المقطع الأول من القصيدة ينادي الأشياء إلى شيئيتها ويدعوها إلى الحضور ؛ فالنداء الموجه إلى الأشياء يدعوها إلى الحضور في العالم والظهور فيه، مما يعني أن المقطع الأول من القصيدة لا يسمي "الأشياء" فقط ، وإنما يسمي "العالم" في الوقت نفسه ، إنه ينادي "الكثرة" التي تعبر عن "الفانين" في رباع العالم كما سيأتي بيانه فيما يلي[1] .

(ج) رباع العالم الفريد في قصيدة تراكل des Geviert- the fourfold

يمكن القول بأن أعمال هايدجر المتطورة وبخاصة محاضرته عن "الشئ" تسمية "للرباع" أي إتجاهات العالم الأربعة من أرض وسماء ، وفانين ، وخالدين في علاقتهم ببعضهم البعض . وفي محاضرة "اللغة" -موضوع هذا البحث- أوضح هايدجر كيف أن اللغة هي التي تحمل تفاعل هذا الرباع أو هذه الوجهات الأربع ،

---

(1) Ibid., S. 19-20 .

أو هذا العالم[1]، وفي هذا التفاعل يُحدث القرب، و"القرب والقول" عند هايدجر أسلوبان لإظهار اللغة وإحضارها للموجودات من التحجب إلى النور والانكشاف[2].

واللغة بدورها تدعو الأشياء للحضور، والأشياء التي تدعوها اللغة وتسميها تجتمع فيما يسميه هايدجر "بالرباع" : السماء - الأرض - الفانون - الخالدون، وهذا زمن بعيد يتحد هذا الرباع بشكل فريد يجعل من الأشياء التي تسميها اللغة رباعاً يقيم في حياة الإنسان[3].

إذن "الكلمات" أو "اللغة" هي "الجهة" التي تسمح للأرض والسماء، وتدفق الأعماق وقوة الأعالي بأن تتقابل وتتفاعل. وفي هذا التفاعل يتم القرب والإظهار والإحضار؛ أي يكون الوجود. ويعني ذلك أن "اللغة" عند هايدجر هي "سيدة العلاقات"، ومحركة العالم، وكاشفة الوجود؛ فهي التي تعطي وتمنح، تحفظ وتحمي، وعلى الإنسان أن يسكن في بيتها، ويحرسه ويرعاه[4].

وإذا أردنا البحث عن فكرة "الرباع" في "قصيدة تزاكل" فسوف نجد أن البيت والمنضدة في المقطع الأول من القصيدة يربطان الفانين بالأرض -earth Erde، وبالأشياء التي تم تسميتها، ونداء هذه الأشياء يضم إليها السماء والأرض من جانب، والفانين والخالدين من جانب آخر، وكل عنصر من هذه العناصر الأربعة يتوحد في

---

(١) عبد الغفار مكاوي : "نداء الحقيقة"، ص : ٢١٦ .

(٢) نفس المرجع .

(3) Kockelmans, J.J ; "On The Truth..", P. 154.

(٤) عبد الغفار مكاوي : "نداء الحقيقة"، ص : ٢١٧ .

إتجاه كل منها إلى الآخر ، ووحدة الرباع هذه هي ما يطلق عليه هايدجر اسم العالم[1] Welt- World .

ذهب هايدجر إلى أن المقطع الأول من القصيدة "يتحدث" من خلال دعوة الأشياء إلى الحضور[2] .

والمقطع الثاني "يتحدث" بطريقة مختلفة :

"بعض من المتجولين

يقفون عند البوابة في الدروب المظلمة"

فهو ينادي ويسمي الفانين ، ولا ينادي كل الفانين وانما "بعض" الفانين فحسب الذين يتجولون في الدروب المظلمة، وهؤلاء الفانون مقبلون على الموت كما أن المتجولين يتجهون نحو الموت ، حيث يتألق في الموت الكشف

(1) Heidegger, M. : "Die Sprache.." , S.19.

(2) Ibid., S. 20.

الرائع عن الوجود !"[1]

إذن على المسافرين على الدرب العظيم أن يقطعوه تجوالاً طلباً للبيت والمنخدة، وعليهم أن يقوموا بذلك لا لأنفسهم وإنما من أجل عدد كبير من البشر حتى يتحقق معنى السكن والإلف مع الأشياء .

البيتان التاليان يسميان الأشياء -الباب- الدروبي المظلمة ، وهما بذلك يسميان "العالم" بوضوح ، ولكنهما يسميان أيضاً وبشكل فجائي شيئاً مختلفاً كل الإختلاف :

"وتثمر شجرة النعم ثمارها الذهبية

من العصارة الرطبة للأرض "

يبدو من البيتين السابقين أن الشجرة جذورها ممتدة في "الأرض" ، ولذلك فهي تنمو منفتحة لنعمة "السماء" . إن القصيدة تسمي "شجرة النعم" ، وفيها يجتمع رباع العالم؛ علماً بأن كلمة "العالم" لم تعد تستخدم إستخداماً ميتافيزيقياً فلم تعد تصف الطبيعة أو التاريخ أو اللاهوت ، ولم تعد تعني مجموع الكائنات الحاضرة .

إذن البيتان الثالث والرابع من المقطع الثاني هما بمثابة نداء "لشجرة النعم" ودعوة لحضور العالم ، وهذه الدعوة هي دعوة رباع العالم" ، وهي من ثم دعوة العالم إلى الأشياء ؛ فضلاً على أن التأكيد على كلمة "ذهبي" يحقق الانكشاف للشئ أو يحفظ بهاءه وروعة مظهره[2] ....

---

(1) Ibid.,

(2) Ibid., S. 20-21.

إذن المقطع الأول من القصيدة يدعو "الأشياء" إلى الحضور في العالم، والمقطع الثاني يدعو "العالم" إلى الحضور بالنسبة للأشياء والدعوتان مختلفتان ولكن لا ينفصلان ، بل ينتمي كل منهما إلى الآخر ، ويتخلل كل منهما في الآخر؛ ومع ذلك فلا يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر ، وهما في "قربهما" الأبدي ينتمي كل منهما منفصلاً عن الآخر[1].

هذه الصلة الحميمة بين العالم والشيء لاوجود لها إلا عندما ينفصل كل منهما عن الآخر بوضوح ، ويسمي هايدجر هذا الانقسام "بالفرق"[2] Unter-schied- the dif- ference. وفي هذا الفرق يتم حضور الأشياء وصلتها الحميمة بالعالم ، علماً بأن هذا الفرق إنما هو ظاهرة فريدة ، ولا يؤخذ هنا بمعنى الاختلاف بين أنواع متعددة ؛ إنه اختلاف فريد يستبعد الوسط، ومن خلاله يصبح العالم والأشياء في وحدة ؛ فهو يوجه العالم نحو الأشياء ، والأشياء نحو العالم ، وليس هذا الفرق "شيئاً" ثالثاً نضيفه إلى العالم والأشياء ؛ إنه بالأحرى يحدد العالم والأشياء في حضورهما، وفي وجود كل منهما في اتجاهه نحو الآخر[3].

ومن ناحية أخرى فإن هذا "الفرق" لايمكن تجريده عن العالم والشيء بوصفه العلاقة بينهما ؛ فهو يكشف عن "الحادث" appropriation – das Ereignis في الأشياء عندما تُحضر العالم ، وفي العالم في علاقته بالأشياء[4].

(1) Kockelmans, J.J. : "On the Truth..." P.155.

(2) Heidegger, M. : "Die Sprache..", S. 22.

(3) Kockelmans, J.J. : "On the Truth..." P.155.

(4) Heidegger, M. : "Die Sprache..", S. 22.

إذن يمكن القول بأن البيت الأول من المقطع الثاني من القصيدة يدعو الأشياء إلى الحضور ، والبيت الثاني يدعو العالم إلى الحضور ، والبيت الثالث يدعو إلى العلاقة بين العالم والأشياء ، ويدعوهما إلى الصمت ، وهذا البيت الأخير يدعو إلى "الفرق" ، وهو لايدعو إلى التفكير فيه أو إلى التفكير في ماهيته عن طريق "التسمية" ؛ إنه بالأحرى يدعو إلى البعد الذي يحققه هذا الفرق في وساطته بين العالم والأشياء ، كما أنه يدعو إلى الأشياء والعالم معا، وهو بذلك يدعو إلى الفرق بينهما ، ولكنه يدعوه دعوة صامتة .

ويمكن القول بأن الدعوة الأولى إلى القرب بين الأشياء والعالم هي بمثابة نداء حقيقي، وهي دعوة تعبر عن ماهية حديث اللغة ؛ "فاللغة تتحدث" حقا ، ما تدعو إليه يأتيها من خارج الفرق إلى مجاله الداخلي حيث تستقر الأشياء في العالم، وبذلك يحرر "الفرق" الأشياء ليحقق كل منهما وجوده الخاص .

ويعني ذلك كما يرى هايدجر أن اللغة في أصلها النهائي هي حدوث للفرق الأنطولوجي بوصفه "لوجوس" ؛ فاللغة تحدث بوصفها ذلك الفرق الموجود بين العالم والأشياء ، أي أن "نداء الفرق" ليس صادراً من الإنسان بل العكس هو الصحيح ؛ فما هو إنساني يصبح كذلك عن طريق اللغة، ويتحقق له الحضور في ضوء حديث اللغة ، ومع ذلك فإن هذا الحضور يحدث فقط بمقدار ما تحتاج ماهية اللغة إلى حديث الفانين من البشر[1] .

* * *

(1) Kockelmans, J.J. : "On the Truth..." P.155- 157.

إذن المقطع الأول من القصيدة يدعو الأشياء إلى الحضور والمقطع الثانى يدعو العالم للحضور حيث تكفل عالمية العالم حضور الأشياء ؛ أما المقطع الثالث والأخير فهو يدعو إلى حضور الصلة الحميمة بين العالم والأشياء ، ولذلك يبدأ هذا المقطع على النحو التالى :

ويدلف المتجول إلى الداخل

والألم قد أحال البوابة إلى حجر

وهناك يسطع فوق المائدة

ناصعاً ونقياً الخبز والنبيذ

ولكن القصيدة لا توضح إلى أين يتجه النداء ؛ بل تدعو المتجول إلى الصمت الذى يقف متربصاً عند البوابة، وفجأة يتحول النداء إلى "الألم" الذى حول البوابة إلى حجر ، وهذا البيت فى رأى هايدجر يتحدث عن موضوع القصيدة بأسرها ؛ فهو يسمى "الألم" والقصيدة لاتفسر أى ألم هذا ؟ ولا توضح إلى أى مدى يُنادَى على الألم ؟

ويلاحظ هايدجر أن هذا البيت هو البيت الوحيد فى القصيدة الذى صيغ فى صورة الفعل الماضى : الألم قد "حول" البوابة إلى حجر ، ومع ذلك فهو لايتحدث عن شئ مضى ولم يعد حاضراً؛ وإنما يسمى شيئاً باقياً دوماً؛ ففى عملية التحول إلى حجر تبقى البوابة حاضرة ، وعن طريق تلك البوابة يرى كل ما بالخارج إلى الداخل والعكس صحيح[1].

---

(1) Heidegger, M. : "Die Sprache..", S. 23- 24.

ولكن ماهى طبيعة الألم Schmerz - Pain فى هذا التقطع ؟ إنه بمثابة صدع Riss- Rifl ولكنه لا يتمزق إلى شذرات ، فهو يجذب كل شئ إليه ويجمعه من جديد ؛ وهو العنصر الذى يحقق الانقسام والوحدة بين الأشياء. إنه هو "الوسيط" الذى يجمع بين الأشياء ، أو هو الفرق ذاته(*) :

والألم قد حول البوابة إلى حجر

هذا البيت يسمى "الفرق" ، ولكنه لايدعو طبيعته بذكر اسمه؛ إنه بالأحرى يدعو الفصل الذى يقوم به الوسيط ، كما يدعو الجمع بين الأشياء ، وهو بذلك يعقد صلة حميمة بين العالم والأشياء ، وينبغى ألا نظن أن هذا الألم إحساس أنثروبولوجى يجعلنا نشعر بالمعاناة أو العذاب ، كما لاينبغى أن نفكر فى هذه الصلة من الناحية النفسية بوصفها تعبيراً عن حالة انفعالية :

وهناك يسطع فوق المائدة

الخبز والنبيذ ناصعاً نقياً

أين يسطع الضوء النقى الخالص فى هذين البيتين ؟ إنه يسطع على البوابة فى مستقر الألم ، حيث يلمع بريقه ويتلألأ ، ويحتوى فى داخله على ضوء العالم وبريقه ، وفى ذلك البريق يتحقق للخبز والنبيذ بريقهما الخاص .. إن الأشياء العظيمة تتلألأ فى بساطة شيئيتها : فالخبز والنبيذ هما فاكهة السماء والأرض، وهما من هبات الإله والفانين ، كما أنهما يحققان رباع العالم الفريد حين حصولها على الشعور بالرضى والاكتفاء فى تركها رباع العالم ليستقر معها .

(*)".. Der Schmerz ist der Unter- Schied selber". (Cp. Heidegger, M.: "Die Sprache.." , S. 24.

إذن المقطع الثالث من القصيدة يدعو العالم والأشياء إلى "الوسيط" الذى يجمع بينهما فى صلة حميمة ، وهذا الوسيط هو الألم[1] .

ذهب هايدجر إلى أن "التسمية" التى تدعو إلى الصلة الحميمة بين العالم والأشياء للحضور هى التسمية الحقيقية[*] ، وهذه التسمية هى ماهية الحديث التى تتضح من موضوع الحديث فى القصيدة ، إنه حديث اللغة . إذن اللغة تتحدث كما سبق أن بينا ، وهى تتحدث بتسمية موضوع الحديث: الشئ - العالم[**] ، والعالم - الشئ[***] تدعوهما للحضور فى الفرق بينهما، وهذا الحضور يدعو العالم والأشياء من خارج الفرق إلى داخله .

إن الفرق يترك شيئية الشئ das Dingen des Dinges – The thinging of the thing لتستقر فى عالمية العالم ، Worlding of the Welten der Welt – World ، وهذا الفرق يتبعد الشئ ليستقر فى رباع العالم ، علماً بأن هذا الاستبعاد expropriation لايلغى الشئ ، وانما يحقق وجوده الخاص[2] .

يرى هايدجر أن "الفرق" ليس تمييزاً ولا علاقة ؛ إنه بالأحرى "بُعد" Dimension - Dimension للعالم والأشياء ، وفيه يستقر العالم والشئ ، وهو "بُعد" بمقدار ما يصنع من مقاييس للعالم والشئ كل من زاويته ، وهذا "المقياس"

---

(1) Ibid., S. 25.

(*)Das eigentliche Heissen- authentic bidding .

(**) Ding- Welt, Thing - World .

(***) Welt - Ding , World - Thing

(2 Ibi S. 26.

Ermessen- allemmen يحقق الانفتاح بينهما . ويوجه كل منهما إلى الآخر ، إذن "الفرق" وسيط بين العالم والأشياء يقيس حضورهما ، وفي التسمية التي تنادي الشيء بالعالم ما يُنادي ، يحق إنما هو ذلك "الفرق"[1] .

أما عن الاستقرار الذي يحققه "الفرق" فهو يعني البقاء في الصمت stillness die stille- ! فالفرق" يحقق السكينة للشيء ، كما أن الشيء يحققها للعالم .

والفرق يحقق السكينة بطريقة مزدوجة : عن طريق ترك الأشياء لتبقى في حضور العالم ، وترك العالم ليكتفي بنفسه في الشيء[2] .

وأما عن ماهية الصمت فيرى هايدجر أنه ليس مجرد انعدام الصوت Lautlose- Soundless ، ففي انعدام الصوت يظل الافتقار إلى الحركة أو الصوت موجوداً، ولكن الصمت من حيث الماهية يصمت[*] ، وفي هذه الحالة يرى هايدجر إنه يكون متحركاً ومضطرباً أكثر من أي شيء آخر[3] .

إن "الفرق" يحقق السكون أو الصمت بطريقتين : إنه يصمت في الأشياء من حيث شيئيتها ، وفي العالم من حيث عالميته ، وعندما يجمع "الفرق " كلاً من العالم والأشياء إلى ما بينهما من صلة حميمة ، فهو يدعوهما إلى الحضور لماهيتهما الخاصة.

---

(1) Ibid., S. 23.

(2) Ibid., S. 26.

(*)"..Die Ruhe aber hat ihr Wesen darin, dass sie stillt" .

(3) Ibid., S. 26.

ومن ناحية أخرى فإن "الفرق" هو "التسمية" ، وتسمية الفرق تجمع كل منادى إلى داخل نطاقها ، واللغة تتحدث لأن تسمية "الفرق" تنادى العالم والأشياء إلى ما يجمعهما من صلة حميمة .

واللغة بوصفها "رنين الصمت"(*) هى التى يحدث فيها "الفرق" بين العالم والأشياء ، علماً بأن هذا "الرنين" ليس إنسانياً بل العكس هو الصحيح: فالإنسان من حيث ماهيته "معطى ذو طبيعة لغوية" sprachlich-linguistic ، وكلمة لغوى فى هذا السياق تعنى الحدوث من جراء كلام اللغة ، وما يحدث أو الموجود الإنسانى يتم حضوره إلى ذاته عن طريق اللغة ؛ وفى هذا الحدوث الذى يتم فى حضور الصمت تحتاج اللغة إلى حديث الفانين أو البشر المنصتين إلى حديثها .

وبقدر ما ينتمى الفانون إلى "نداء الصمت" ، يصبحون قادرين على الحديث بطريقة متميزة من خلال الحديث . وبذلك يصبح حديث الفانين نداءً يدعو العالم والأشياء إلى الحضور[1] .

يرى هايدجر أن التسمية الحقيقية فى حديث الفانين هى بمثابة موضوع الحديث فى القصيدة ، وأن الشعر الحقيقى[2] يختلف عن الأسلوب الذى تستخدمه اللغة فى الحياة اليومية ؛ بل إن اللغة اليومية لغة مسيئة، وكذلك الكلام اليومى das alltägliche Reden ، يصبح مستهلكاً إلى حد يصعب معه أن يصدر عنه أى نداء[1] .

(*) das Geläut der Stille - the peal of Stillenss .

(1) Ibid., S. 28 .

(*) ذهب هايدجر إلى أن النثر الحقيقى ليس نثراً قط ؛ إنه شعرى dichterisch- Poetic ، وهو من ثم نادر ندرة الشعر Poesie- Poetry .

(2) Ibid., S. 28 .

وإذا اعتبرنا أن الكلام الإنساني هو الصوت Verlautbarung -Voicing الصادر عن باطن الإنسان ، فإن ماهية اللغة ليست إلا تعبيراً أو نشاطاً إنسانياً . ولكن كيف ينكسر الصمت في الحديث أو حتى في الكتابة ؟ وكيف يمكن أن نعبر عن هذا الصمت في كلمات ؟ وكيف يشكل حديث الفانين، ونستمع إليه في أبيات من الشعر أو في عبارات من اللغة ؟

إذا نجح "التفكير" يوماً ما في الإجابة على هذه التساؤلات، فعلينا أن ننظر إلى "التعبير" der Ausdruck- expression وحده بوصفه العنصر الحاسم في الحديث الإنساني ، كما ينبغي علينا أن ندرك أن الفانين يتحدثون بمقدار ما ينصتون(*) ، وهم في ذلك يلتفتون إلى نداء الصمت "للفرق" ، وانصاتهم ينبعث من تسمية هذا الفرق.

يرى هايدجر أيضاً أن "الفانين" يتحدثون عن طريق "الاستجابة" للغة بطريقة مزدوجة: التلقي Receiving – Entnehmen ، والإجابة Replying – Entsprechen ، بناءً على أن كل إنصات حقيقي das – authentic hearing echte Hören ، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالقول الحقيقي(1) .

(*) "Die Sterblichen sprechen, insofern sie hören- Morals speak insofar as they listen".

(1) Ibid., S. 29 .

خاتمة البحث

نحاول في خاتمة البحث الإجابة على الأسئلة الثلاثة التي سبق أن طرحناها في المقدمة وهي كما يلي :

س ١ : كيف أحدث هايدجر ثورة كوبرنيقية في تفسيره للأصل الأنطولوجي للغة ؟

س٢ : ما معنى الدخول في تجربة مع اللغة عند هايدجر ؟

س ٣ : كيف تتحدث اللغة في قصيدة "تراكل" من وجهة نظر هايدجر ؟

أما عن السؤال الأول فيمكن الإجابة عليه في ضوء ما يلي من نتائج أمكن التوصل إليها في سياق البحث :

(أولاً) : أصبح الموجود الإنساني "الجهة" التي تتحدث إليها اللغة ، ولم تعد اللغة مجرد أداة ، وأصبح حديث الإنسان مجرد رد فعل لحديث اللغة، ويفترض ذلك ضمناً إنصاته إلى لغة الوجود .

(ثانياً) : أصبحت اللغة -في فكر هايدجر المتطور - الوجود ذاته في صورة كلمات ، وأصبح حديث الإنسان الحقيقي "إستجابة" لصوت الوجود الصامت، مما يعني أن الإنسان يكتشف ذاته فقط من خلال اللغة، ويصل إلى الحقيقة فقط عندما يتوجه "منصتاً ومتحدثاً" نحو قول الوجود.

(ثالثاً) : أصبحت "اللغة بيت الوجود" بمعنى أن اللغة تكشف عن الوجود ذاته، وبمقدار ما يتم التعبير عن الوجود ، تصبح اللغة لغة الوجود كما أن السحب سحب السماء .

(رابعاً) : أصبح "الوجود" لغة اللوجوس في ضوء ما يحققه من انفتاح للموجودات، واللوجوس يعدنا بالأساس اللازم للإستخدام الحقيقي للكلمات ، وهو ما

يدركه المفكرون والشعراء بحق ؛ فاللوجوس هو القول الأصلى للوجود ؛ والكلام الحقيقى إستجابة لهذا القول .

(خامساً) : أصبح الشعر عند هايدجر النشاط الذى يخلق ، ويشكل ، ويتحقق على صورة كشف أنطولوجى ، وهو النشاط الذى يؤسس الحقيقة. واللغة الحقيقية أو (الشعر) هى التى تحقق للموجودات الحضور فى انفتاح الحقيقة . وقصيدة "تراكل" مثال على ذلك .

وأما عن السؤال الثانى : ما معنى الدخول فى تجربة مع اللغة من وجهة نظر هايدجر ؟ فيمكن الإجابة عليه فى ضوء ما أحدثه هايدجر أيضاً من ثورة فى قلب لعلاقة الإنسان باللغة رأساً على عقب ؛ فالإنسان لا يكون إنساناً إلا عندما ينصت إلى نداء اللغة ؛ فاللغة هى الأصل ، والإنسان "ملقى به" فى رحابها، وتجربة اللغة ليست من صنع الإنسان ، وهو يخضع لها ، ويتقبلها، ويتحملها عند حدوثها ، فإذا ما عثر على طريقه إليها ، تكونت لديه تجربة أصلية مع اللغة تمس صميم وجوده .

ويترتب على ذلك ما يلى من نتائج :

(أولاً) : "الدخول فى تجربة مع اللغة" معناه الانتباه إلى علاقة الإنسان باللغة، وتأمل سكنه فيها "فاللغة تتحدث . وحديثها حضور للموجودات، كما يعنى الإنصات إلى حديث اللغة ، فنترك ما تقوله يتحدث بنفسه إلينا وفقاً لأسلوب وجودنا المنفتح على حديث اللغة .

(ثانياً) : "الدخول فى تجربة مع اللغة" معناه أن ماهية اللغة هى لغة الماهية ؛ أى أن أصل اللغة يفيد الحفاظ والعطاء ، ويتصل بصميم وجودنا ، ويحركه، وينتمى إلى الماهية التى تحرك وتمنح ، إذن ماهية اللغة ترتبط بالقول الأصلى

بوصفه إيضاحاً وكشفاً .

(ثالثاً) : "الدخول فى تجربة مع اللغة " معناه أيضاً إدراك العلاقة بين الشعر والتفكير . على اعتبار أن الشاعر هو حارس الكلمة ومدبرها . إن الشعر والتفكير يحتاج كل منهما إلى الآخر كى يتأسس الوجود ، ويمتلك كل منهما طريقة فى القول الأصلى : المفكر يتحدث عن الوجود ، والشاعر يسمى المقدس : فالشعر انفتاح للموجود ، وهذا الانفتاح يحمل معانى البدء ، والتأسيس ، والهبة .

وأما عن السؤال الثالث : كيف تتحدث اللغة فى قصيدة "كراكل" ؟ فيمكن الإجابة عليه فى ضوء ما يلى من نتائج :

(أولاً) : القصيدة توضح كيف تترك اللغة العالم ليكون موجوداً ؛ والمقطع الأول منها يدعو "الأشياء" إلى الحضور ، والمقطع الثانى يدعو "العالم" إلى الحضور ، أما المقطع الثالث فيتناول "الفرق" بين العالم والأشياء ، ويحدث هذا الفرق عن طريق الوجود بوجهه الأولاً .

(ثانياً) : "التسمية" فى القصيدة "نداء" ، والنداء بقرب "المنادَى" ، ويحقق الحضور للموجودات كى تصبح أكثر قرباً بعد أن كانت محتجبة فى الغياب ، كما أن التسمية "دعوة" للأشياء كى يتحقق لها الحضور فى العالم ، وهى دعوة "للعدد الكبير من البشر" المعبر عن "الفانين" فى القصيدة، ويتضح من هذه الدعوة أن التسمية الحقيقية فى حديث الفانين هى موضوع الحديث فى القصيدة .

(ثالثاً) : لغة القصيدة تتحدث عن تفاعل رباع العالم : الأرض - السماء - الفانين - الخالدين، وفى هذا التفاعل يصبح "القرب والقول" كشفاً عن الموجودات .

فاللغة هى سيدة العلاقات ، وكاشفة الوجود ، وعلى الإنسان السكن فى بيتها ليحرسه ويرعاه .

(رابعاً) : لغة القصيدة فى أصلها النهائى حدوث "للفرق الأنطولوجى" بين العالم والأشياء بوصفه "لوجوس" ، علماً بأن نداء الفرق ليس إنسانياً ، وما هو إنسانى يتحقق له الحضور من خلال حديث اللغة ؛ وعلماً بأن "الفرق" يستبعد الشئ ليستقر فى رباع العالم ، وهذا الاستبعاد لايلغى الشئ ، وإنما يحقق وجوده الخاص .

(خامساً) : "الفرق" فى القصيدة "بُعد" للعالم والأشياء ، وهذا البعد يحقق الانفتاح بينهما ، وبوجه كل منهما إلى الآخر ، كما يحقق السكينة والصمت لكل من العالم والأشياء . والفانون (أو البشر) فى لغة القصيدة يتحدثون من خلال الاستجابة المزدوجة للغة المتمثلة فى "التلقى" ، و"الإجابة" .

(سادساً) : "الألم" فى المقطع الأخير من القصيدة يجذب كل شئ ويجمعه من جديد، ويحقق الوحدة والاتصال بين الأشياء ؛ إنه "الفرق" ذاته الذى يعقد صلة حميمة بين العالم والأشياء أو بين الوجود والموجود وفقاً لتعبير هايدجر.

قائمة بأهم المصادر والمراجع

(أولاً) مصادر ألمانية :

- Heidegger, M. : ("Die Sprache" in Unterwegs zur Sprache)., Vittorio Klostermann, Frankfurt am Main, Gesamtausgabe, Band 12, Germany, 1985.

(ثانياً) مصادر أجنبية مترجمة :

- Heidegger, M. : "Poetry- Language- Thought", trans. by A. Hofstadter, Harper & Row Publishers, New York, U.S.A., 1975 .

(ثالثاً) مراجع أجنبية :

- Halliburton, D.: "Poetic Thinking - An Approach to Heidegger" The Uni. of Chicago Press Ltd, London, 1981.

- Kockelmans, J.J. : "On The Truth of Being- Reflections On Heidegger's Later Philosophy", Indiana University Press, Bloomington, U.S.A., 1984.

- Langan, T. : "The Meaning of Heidegger-Acritical Study of an Existentialist Phenomenlogy" Routle-dge & Kegan Paul, London, 1959.

- Richardson, W.J. : "Heidegger, Through Phenomenology to Thought", Preface by M. Heidegger, Martinus Nijhoff, The Hague, Netherlands, 1963.

- Sokel, W. : "The Writer in Extremes in 20 th Century German Literature , Stanford Uni. Press, California, U.S.A., 1968 .

- Winfried, F. : "M. Heidegger", J.B Metzlersche Verlagsbuchhandlung , Germany, 1970 .

(رابعاً) موسوعات ألمانية :

- Enzyklopädie : Weltliteratur im 20 Johrhundert , Vol.4, herausgeg. von Prauneck M., Rowohlt, Germany, Juni, 1981.

(خامساً) مراجع عربية مترجمة :

- مارتن هايدجر : "ما الفلسفة ؟ ما الميتافيزيقا؟ هيلدرلين وماهية الشعر" ، ترجمة فؤاد كامل، محمود رجب، مراجعة عبد الرحمن بدوى، سلسلة نصوص فلسفية ، دار الثقافة ، للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

- " " : "نداء الحقيقة" ، ترجمة وتقديم ودراسة عبد الغفار مكاوى، سلسلة نصوص فلسفية (٩) ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

(سادساً) مراجع عربية

- عثمان أمين : في "الفلسفة والشعر" ، مكتبة نفائس الفلسفة الغربية، الدار القومية للطباعة والنشر ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

ثبت بأهم المصطلحات الواردة فى البحث

(A)

المصطلح بالألمانية	المصطلح بالإنجليزية	المصطلح بالعربية
(das) alltägliche Reden	everyday discourse	الكلام اليومي
Abwesen	absence	الغياب
Anwesen	presence	الحضور
Ausdruck	expression	التعبير

(D)

Dichtung	Poetry	نظم الشعر
Dichter	Poet	الشاعر
Dimension	dimension	البعد
Dinge	things	الأشياء
(das) Dingen des Dinges	the thinging of the thing	شيئية الشئ

(E)

(das) echte Hören	authentic hearing	الإنصات الحقيقي
(das) eigentliche Heissen	authentic bidding	التسمية الحقيقية
(das) Enteignis	expropriation	الإستيعاد
(das) Entnehmen	Receiving	التلقي

(die) Entschlossenheit	Resoluteness	التصميم
Entsprechen	replying	الإجابة
Erde	earth	الأرض
Ermessen	allotment	معيار أو مقياس
(das) Ereignis	appropriation	الحادث

(G)

Dedicht	Poem	القصيدة الشعرية
(das) Geläut der Stille	the peal of stillness	رنين الصمت
(das) Geviert	the fourfold, the quadrate, the foursome	الرباع
(das) Göttliche	the divine	الخالدون (رسل الربوبية)

(H)

(das) Heilige	the holy	المقدس
(das) Heissen	the bidding	التسمية
(das) Herrufen	the calling	النداء

(L)

Lautlose	soundless	إنعدام الصوت (بلاصوت)

Logos	logos	اللوجوس (الكلمة - القول..)
	(N)	
(das) Nennen	the naming	التسمية
	(O)	
Ontologische Differenz	Ontological difference	الفرق الأنطولوجي (بين الوجود والموجود)
	(R)	
Rede	discourse, speech	الكلام
Rein Gesprochenes	purely spoken	موضوع الحديث الخالص
Riss	rift	صدع (شق)
	(S)	
Sagen	Saying, utterance	القول
Sprache	language	اللغة
(die) sprache spricht	language speaks	اللغة تتحدث
Sprachlich	linguistic	لغوى (ذو طبيعة لغوية)
(die) Sterblichen	mortals	الفانون (البشر)

(die) Stille	stillness	الصمت
	(U)	
Unter - Schied	dif- fefence	الفرق (بين العالم والأشياء) (أو بين الوجود والموجود)
Ursage	Primordial Saying	القول الأصلي
	(V)	
Verlautbarung	Voicing	إصدار الصوت
	(W)	
Welt	World	العالم
Welten der Welt	Worlding of the world	عالمية العالم
Wesen	essence	الماهية
(das) Wesen der Sprache	essence of language	ماهية اللغة